فلسفة الدين والأخلاق عند دولوز

إعداد

عبد الأول حسن محمد

أ.د ابراهيم طلبة سلكها

استاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة وكيل الكلية لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة

كلية الآداب_ جامعة طنطا

د. أحمد السيد خليفة

مدرس بقسم الفلسفة، كلية الآداب_ جامعة طنطا

المستخلص:

لا شك أن الدين شأن من شئون الروح لا تستطيع روح الإنسان أن تستغني عنه، كما لا يستطيع بدنه أن يستغني عن النفس، والدين شعور قصري، وحاسة عامة لدى البشر أجمعين.

لذلك شغل الدين معظم المفكرين في مجالات الفكر المختلفة حتى أن بعض المفكرين اهتموا بمسألة الدين عند دولوز ومنهم "" Mary Bryden فقد قدم تحرير الكتاب " دولوز والدين "Deleuze and Religion " "اشترك فيه أكثر من أربعة عشر كاتبا بمقالات حول فلسفة دولوز الدينية، و "Morny JoyEditor " قدم كتابا بعنوان " Continental Philosophy and philosophy of Religion" تناول فيه فلسفة الدين عند دولوز في أحد فصوله ومع ذلك لم يجد الباحث دراسة عربية – رغم كثرتها – قد تناولت هذا الموضوع بالنقد والتحليل، وربما يعود ذلك إلى أن كل من تناول دولوز قدم تقريظا (مدحًا) لفلسفته وليس نقدا شاملا لها.

لم يكتب دولوز فلسفة دينية Religious philosophyفي حد ذاتها، ولا تتضمن أعماله الكبرى مناقشات مطولة حول قضايا فلسفة الدين ,Philosophy of religion إلا أن دراساته التاريخية كانت بالكامل حول فلاسفة مهتمين بشدة بالدين، واللافت للنظر في كثير من المواقف أن تعليق دولوز على هذه المبادئ عند هؤلاء الفلاسفة يمر من دون رأي أو حكم: فمثلا الإطار الوجودي Existential frameworkلسبينوزا على وجود الله يتم تحليله من دون أي تقييم مصاحب سواء نجح أو لم ينجح، كما هو الحال مع الإطار الموجز لعداء نيتشه للمسيحية.

الكلمات الافتتاحية: الله ، الدين، دولوز ، البيئة.

فلسفة الدين والأخلاق عند جيل دولوز

المقدمة

أولًا– الدين ومبدأ السببية

ثانيًا-الشرك والتوحيد والإلحاد.

ثالثًا- نقد الميتافيزيقا الإلهية.

رابعًا- نفي الصفات وإثبات النفي.

خامسًا- فكرة اختراع الكاهن

سادسًا- الدينونة والخيانة (خيانة الرب)

سابعًا- إحلال الأخلاق والعلم محل الدين

ثامنًا- مسألة الخير والشر.

تاسعًا– نقد الفلسفة البيئية.(حقوق الحيوان بين دولوز وسينجر).

عاشرًا- فلسفة البيوتيقا.

تعقيب

المقدمة

لا شك أن الدين شأن من شئون الروح لا تستطيع روح الإنسان أن تستغني عنه، كما لا يستطيع بدنه أن يستغني عن النفس، والدين شعور قصري، وحاسة عامة لدى البشر أجمعين.[١]

لذلك شغل الدين معظم المفكرين في مجالات الفكر المختلفة حتى أن بعض المفكرين اهتموا بمسألة الدين عند دولوز ومنهم " Mary Bryden" فقد قدم تحريرا لكتاب " دولوز والدين " "Deleuze and Religion"اشترك فيه أكثر من أربعة عشر كاتبا بمقالات حول فلسفة دولوز الدينية، و " Morny JoyEditor" قدم كتابًا بعنوان " Philosophy and philosophy of Religion"Continental " تناول فيه فلسفة الدين عند دولوز في أحد فصوله ومع ذلك لم يجد الباحث دراسة عربية – رغم كثرتها – قد تناولت هذا الموضوع بالنقد والتحليل، وربما يعود ذلك إلى أن كل من تناول دولوز قدم تقريظا (مدحًا) لفلسفته وليس نقدا شاملا لها.

لم يكتب دولوز فلسفة دينيةReligious philosophy في حد ذاتها، ولا تتضمن أعماله الكبرى مناقشات مطولة حول قضايا فلسفة الدين Philosophy of religion، إلا أن دراساته التاريخية كانت بالكامل حول فلاسفة مهتمين بشدة بالدين، واللافت للنظر في كثير من المواقف أن تعليق دولوز على هذه المبادئ عند هؤلاء الفلاسفة يمر من دون رأي أو حكم: فمثلا الإطار الوجوديExistential framework لسبينوزا على وجود الله يتم تحليله من دون أي تقييم مصاحب سواء نجح أو لم ينجح، كما هو الحال مع الإطار الموجز لعداء نيتشه للمسيحية.[٢]

ولقد أشار الباحث أن دولوز يتحدث بلسان فلاسفته ويقول في ذلك " كنت أبحث في تاريخ الفلسفة عن مفاهيم الآخرين، وعن المشكلات التي أجابوا عنها، مزجت مشكلات من القرن العشرين يمكن أن تكون مشكلاتي أنا، فخَلقُ المفاهيم على علاقة بما خلقه الفلاسفة العظام، يعني مواصلة مهمتهم، تعني أنك تسير على الدرب نفسه وهذا لا يعني بالضرورة أنك تلميذ لهم ".[٣] وفي الجانب الأخلاقي يتحدث دولوز عن الخير والشر و الفلسفة البيئية وهذا سوف يركز عليه الباحث ويعقد مقارنة بين دولوز وبين "سينجر" حول حقوق الحيوان،ثم نتطرق إلى جانب حديث لم يتطرق له أحد من قبلنا وهو البيوتيقا في فكر دولوز وهل هو من المؤيدين لها أم من المعارضين؟.

أولًا: الدين و مبدأ السببية.

[١]- د. ابراهيم طلبة عبد الخالق سلكها. **الفلسفة الاسبانية**، الريادة للنشر والطباعة –دبي – الامارات العربية المتحدة.٢٠١٩ ص ٦٢

[٢]- Morny Joy Editor Continental Philosophy and philosophy of Religion. Springer Dordrecht Heidelberg London New York p.139

[٣]- جيل دولوز – كلير بارنت، **الالف – باء**، ص٨٠

يرى دولوز أن الدين ليس معتقد يعتقده الفرد، ولا هو عبادةُ محددة تقوم على شعائر معينة، ولكن الدين هو نوع من المعرفة ونوع من الانفعال.[٤]

لذلك يؤكد نيتشه وجود آلهة فاعلين و أديان فاعلة و تعدد معاني الدين، انطلاقا من القوي المتنوعة التي يمكن أن تسيطر عليه، لذا هناك دين للأقوياء، معناه انتقائي وتربوي إلى حد بعيد ودين للضعفاء وهو عكس ذلك.[٥] إن الدين دائما على قرابة بالقوة التي تستولي عليه أو يستولي عليها،وطالما تَمسِك بالدين قُوى من طبيعة أخرى لا يبلغ درجته العليا الوحيدة التي لها أهمية وهي ألا يكون وسيلة، على العكس حين تفوز بالدين قوى متجانسة له من حيث الطبيعة، أو حين يستولِي هو على هذه القوى، ويخلع نِير تلك التي كانت تسيطر عليه في طفولته، فيما يتعاظم وينمو، يكتشف عندئِذٍ جوهرهُ الخاص به مع درجته العليا. ومن هنا عندما نتحدث عن دين فاعل، عن دين للأقوياء، عن دين من دون حقد أو إحساس بالخطأ، يتعلق الأمر بحالة يجد الدين فيها نفسه قد أخضعته قوى من طبيعة مختلفة عن طبيعته، ويعجز عن نزع قناعه "كأسلوب انتقاء وتربية بين يدي الفلاسفة". [٦]

يري دولوز أن نيتشه يعالج ما وراء الاضطغانPressure(الحقد) والإحساس بالخطأ، حيث يرى نيتشه أن الدين من جهة، والإحساس بالخطأ والحقد والشعور بالذنب من جهة أخرى يرتبط بعضهما بالبعض الآخر بصورة جوهرية. فهما يمثلان القوى الارتكاسية التي تستولي على عناصر الدين لتحريرها من النِير التي كانت تُبقيها القوى الفاعلة تحته، كما أنهما الدرجتان العُليان من الدين بما هو دين، ليس المسيح هو من اخترع المسيحية، بل القديس بولس،(ص٢٨-٢٩)إنسان الإحساس بالخطأ إنسان الاضطغان؛ لذلك فالدين عنصر ضعف لا عنصر قوة، إنه أمر ليس فطري ولكن له أسبابه. [٧]

وفيما يتعلق بمبدأ السببية فإن الدين في نظر هيوم نفسه يحل محل الله كموضوع بحث فلسفي؛ ولذلك فإن التجربة بالنسبة لدولوز هي مبدأ من مبادئ الروح الأخلاقية، التي يقوم عليها كل إيمان بالعالم الخارجي، لا شيء من قبل يمكن أن يعرف غير الأسباب في الطبيعة،وفي هذا الصدد فإن الدين في حد ذاته وفي جوانبه الأخرى ليس سوى استخدام وَهمِي لمبادئ الارتباط والعلاقة السببية.[٨]

يرى دولوز أنه في البراهين القائمة على السببية Causationيتجاوز الدين حدود التجربة، يزعم إثبات وجود الله بمعلولة: العالم أو الطبيعة، لكن تارة يبدأ بنفخ المعلول بإفراط، وينفي البلبلة كلية، ووجود الشر وقوته، ويشكل الله كعلة مطابقة لعالم مجمل تعسفًا، وطورًا آخر يبدأ بمنح العلة أكثر

---

[٤]- جيل دولوز. **التجريبية والذاتية**، ص١٠٧

[٥]- جيل دولوز **نيتشه والفلسفة**، ص١٨٣

[٦]- المصدر نفسه ص ١٨٤

[٧]- المصدر نفسه ص ص ١٨٤-١٨٥

[٨]- morny Joy EditorEditor Continental **Philosophy and philosophy of Religion**. p ,143

وبإثبات إلهٍ عديم التناسق لينزل مجددًا إلى العالم ويسد انعدام التطابق عن طريق التذرع بمعلولات مجهولة، المعلول الرئيسي بينهما هو الحياة القادمة، هكذا يستخدم الدين مبدأ السببية استخداما زائفا. أكثر من ذلك ليس في الدين استخدام للسببية إلا عديم الشرعية ومُختَلق.[٩]

يضيف دولوز أن الدين لم يحتفظ بغير الطائش وخسر كل ما هو جِدِي. ونحن نفهم لماذا؟ فالدين هو امتداد الانفعال، انعكاس الانفعالات في الخيال، لكن مع الدين، لا تنعكس الانفعالات في خيال سبق أن ثبتته مبادئ التداعيPrinciples of association، بحيث يكون الجِدِي مُمكنا، هنالك دين حين تنعكس،على العكس، في الخيال الصرف،في الفنطاسيا* الوحيدة، لماذا ذلك؟ لأن الدين بنفسه وفي وجهه الآخر هو فقط الاستخدام الفنطاسي لمبادئ التداعي والتشابه والسببية.[١٠]وعلى هذا فالدين ليس أمر فطري عند دولوز ولكنه أمر سببي وأسبابه وهمية وزائفة.

ثانيًا:الشرك والتوحيد والإلحاد.

يَتَبَنَى دولوز آراء من يدافع عنهم ولذلك نجده هنا يوافق هيوم في أن الدين نوع من المعرفة - وسنوضح ذلك عند نيتشه أيضا - وللعاطفة الدينية قطبان الشرك والتوحيد.

١ – الشرك:

إن دولوز فيلسوف مركب وشديد التعقيد، ارتبط فكره الفلسفي مع الأدبي مع الفني واختلط لديه السياسي بالنفسي، فيلسوف أراد التحرر ودافع عنه حتى تحرر من حياته بالانتحار، فيلسوف لا يحب العوائق فدافع عن الجسم بدون أعضاء، ورفض الانضمام للأحزاب السياسية، ورأي في الدين أن الشرك يمثل نوع من التحرر والقوة، فأنت حر في أن تكون مشركًا لكنك تفقد تلك الحرية عندما تُقيد بالتوحيد.

ويؤكد دولوز أن مصدر الشرك Polytheismفي تنوع الانفعالات، وأنه إذا كانت العاطفة الدينية تجد مصدرها في الانفعال، فهي ذاتها ليست انفعالًا،يقول هيوم ليست انطباعًا بدائيًا عن الطبيعة،ليست العاطفة الدينية كحب الذات، أو كالشهوة الجنسية، محددة بصورة طبيعية هي موضوع دراسة بالنسبة للتاريخ، وآلهة الشرك هي الصدى والامتداد وانعكاس الانفعالات؛بهذا المعني تخلط العاطفة الدينية بين العرضي والأساسي أصلها في أحداث الحياة البشرية، في التنوع والتناقض اللذين نجدهما فيها ويدفع ذلك لعبادة الأوثان ،وعابد الأوثان هو إنسان الحيوات الاصطناعية،ذلك الذي يجعل من الخارق كنها، ويبحث عن خدمة مباشرة للكائن الأسمى،هو الصوفي أو المتعصب أو المتطير، نفوس كهذه تندفع طوعًا في المشاريع الإجرامية؛ لأن ميزتها

[٩]- جيل دولوز. **التجريبية والذاتية، بحث في الطبيعة البشرية**، ص ص ١١٠-١١١

[١٠]- المصدر نفسه، ص١١٣

* مصطلح قديم استعمله أرسطو وعنه انتقل الي فلاسفة القرون الوسطى للدلالة على الصورة الحسية في الذهن وحل محله اللأن المخيلة بمفهومها الأوسع.

المشتركة هي أن الأفعال الأخلاقية لا تكفيها، هنا يكمن من جهة أخرى خزي الأخلاقية، الأخلاقية ليست جذابة، والعيب ذو هيبة ونفوذ.[١١]

٢ – التوحيد:

يقدم دولوز الأعذار لمن يؤمنون بفكرة التوحيد فيري أن للتوحيد For monotheismمصدره في وحدة مشهد الطبيعة والتناسق الذي نراه، وهي وحدة يمكن التشابه والسببية وحدهُما أن يؤمناها في الظاهر... ولا شك أن التوحيد هنا يمثل مجموعة قواعد امتدادية،في هذه المرة يتعلق الامتداد بالمعرفة؛ حيث يتجاوز الدين الخيال، وهذا ضرب من الوهم وعدم اليقين؛ لأن ذلك يمثل ظِل إيمان يستند إلى تراث شفهي أو كتابي، فنجد الكهنة يتكلمون، تقوم المعجزات على الشهادة البشرية، لا تظهر على الفور واقعا بل تنتسب فقط إلى التوافق الذي نحن معتادون أن نجده عموما بين الشهادة والواقع.[١٢]ويمكن دحض ذلك بكل سهولة عن طريق مبدأ التجريبية والسببية عند هيوم، ولكن رغبة البعض في الاستناد إلى قوة عليا تحميهم هو ما يدفعهم إلي التوحيد؛ وهكذا يؤمن الإنسان من وجهة النظر هذه لا بالعقل ولكن من الخوف والميل للمدح والتملق وهي ميول طبيعية داخل الإنسان.[١٣]

٣ - الإلحاد.

لابد من الاعتراف بأن دولوز فيلسوف ملحد infidelتبنى آراء الفلاسفة الملحدين مثل هيوم واسبينوزا ونيتشه وعارض الفلاسفة المؤمنين بوجود إله مثل ديكارت وكانط وهيجل. ولا شك أنه كان دائم التهكم من مفهوم الرب ولا يعنيه وجود الإله من عدمه في شيء ونذكر على سبيل المثال قوله إذا قلت هل الرب موجود؟ فإن هذا لا يطرح أي مشكلة. لماذا أسأل هذا السؤال؟ ما المشكلة وراء ذلك؟ وإذا سألت هل أؤمن بالرب أم لا أفعل؟ حسنا "لا يهم أحدا من يؤمن بالرب ومن لا يفعل".[١٤]

ويضيف إن سؤال "بسكال" في نص الرهانBet textهل الرب موجود أم لا؟ لا يضيف شيئا ولن يكون مشوقا جدًا، وهو لا يعني وجود أو عدم وجود الرب ولكن يعني أفضلية حياة شخص يؤمن بوجود الرب وآخر لا يؤمن بوجود الرب، ثم يعلن رفضه لأدلة بسكال فيقول "ولأسباب عديدة يطورها بسكال، هي أسبابه الخاصة، يثبت وجود الرب وهو شأن باسكالي محض".[١٥]

وهنا قد نجد من يتساءل كيف يتحدث دولوز عن الصفات الإلهية والخير والشر ثم ندعي إلحاده؟ ونجيب قائلين: إن دولوز الذي تحدث في كل شيء تحاشى الحديث عن الدين نتيجة التشتت الذي

[١١] - جيل دولوز، **التجريبية والذاتية** "بحث في الطبيعة البشرية وفقا لهيوم، ص ص١٠٨-١٠٩

[١٢] - المصدر نفسه، ص ص١٠٩-١١٠

[١٣] - محمد فتح الله على خاني. **فلسفة الدين عند ديفيد هيوم**، ترجمة حيدر نجف، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠١٦ ص ٥٤٢

[١٤] - جيل دولوز – كلير بارنت، **الاف – باء** ص ٧٧

[١٥] - المصدر نفسه، ص١٤٢

مر به في مراحل حياته أولًا من الطفولة للرشد ثم في مراحله الفكرية وتنقله بين الفلاسفة حيث انتهى إلى الإلحاد من نوع خاص حيث عدم المبالغة في إنكار الإله، ولكن إلحاده مبني على خروجه عن تعاليم الأديان، ونصوصها الحرفية، فهو يدعو إلى خيانة الرب كي تقترب من الرب.

وفي ذلك يحدثنا قائلا "إن أحدث الكُتَاب العِظَام" "آرتو" Artau يقدم عملا رائعا "الاستغناء عن حكم الرب" ويعلق قائلاً إنه يعني شيئا حقا، فهو ليس كلمات رجل مجنون، علينا أن نأخذ بهذا الكلام حرفيا، ونطبقه، يجب الاستغناء عن نسق الحكم. (١٦)

إن دولوز يعتمد على مفكرين رغم اختلاف مفاهيمهم إلا أنهم يتفقون في أن نظرتهم نظرة غامضة إلى الطبيعة مثل اسبينوزا وليبنتز ونيتشه وبرجسون. ويرى البعض أن دولوز وغيتاري يساندان ممارسات "روحية" مثل الشعوذة والطاوية*Sorcery and Taoism، ويتعمد دولوز تجاهل الصدى المؤسسي على الكتاب المقدس أو الروحي للنص الذي يناقشه.(١٧)

وأخيرا يرى دولوز في حوار له مع "بارنت" أن الحزن إما يكون لاعتقاد الناس أنهم موضوع للدين النهائي وهنا تتدخل "بارنت" وتقول "أنت الذي كنت محظوظا بالإفلات من الدين النهائي، كيف تصاب بالحزن" ويجيب دولوز أنها مسألة شخصية. (١٨)

ولا شك أن الهدف من الفلسفة بالنسبة لدولوز هو تحرير الحياة أينما كانت محبوسة، كي تعبر عن البهجة الخالصة، إن لحظات اللامبالاة هذه والميتافيزيقية الإلحادية لابد وأن تُفهم في ضوء الدقة المفاهيمية التي تتسم بها فلسفة دولوز ككل.(١٩)

هكذا يعلن دولوز انفلاته من الدين ومن الإيمان بوجود إله بل على العكس أنه يدعو إلى نقد الميتافيزيقا الإلهية.

ثالثًا:نقد الميتافيزيقا الإلهية.

الميتافيزيقا الإلحادية Atheistic metaphysicsنقد التوحيدية الفلسفية، ويعطي دولوز أهمية خاصة للمقتطع المتعلق ببناء فكرة الله باعتبارها المثل الأعلى للعقل المحض، وتبدأ حجة كانط بالقانون المنطقي لعدم التعارض،كل زوج من المتنبئ ينال متناقضين يمكن أن ينتمي إلى نظرية ولكن عندما يتعلق الأمر بتحديد محتوى شيء ما،بدلا من مجرد شكله المنطقي،يصبح من الضروري الافتراض مسبقًا بالمثالية the idealism العليا للمجموع الكلي لجميع

١٦- المصدر نفسه، ص٩٥

* الطاو أو التاو أصل كل الأشياء، يمثل المبدأ الأول، القانون الطبيعي أو جوهر الأشياء. قال عنه "لاوتان" هو لوحة غير منقوشة، هو بداية كل الأشياء، وبداية البدايات، هو ليس شيئا ولكنه أصل كل الأشياء، والخلاصة التاو ليس شيئا وهو مبدأ الأشياء ومبدأ الشيء هو طبيعته. لاوتسه-تشوانغ تِسه، كتاب التاو، ترجمة هادي العلوي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ ص١١

١٧- mary bryden،**Deleuze and Religion**.p2

١٨- جيل دولوز – كلير بارنت، **الالف – باء** ص ص٩١-٩٢

١٩- Editor Continental **Philosophy and philosophy of Religion** , p.140

الاحتمالات.[٢٠] والآن في حين يتعلق الإنكار المنطقي بمجرد علاقة مفهوم بآخر في الحكم، فإن الإنكار المتجاوز يحدد المضمون، وعلى هذا فإن الاحتمالات لابد وأن تتأكد أو تبطلها ،ويعني النفي المتجاوز عدم الوجود في حد ذاته.[٢١]

يرى دولوز أن المنهج النقدي عند كانط منهجًا مدهشًا ويعترض فقط على أنه يعود للرب ولا يعود للعقل وفي ذلك يقول " علىّ أن أعترف أن هذا الجانب من كانط يكاد يجعلني أنكمش رُعبًا، لكنه رعب وكذلك انبهار حيث مفهوم مَحكَمة العقل لا ينفصل عن المنهج النقدي ولكني أريد محكمة لمَلَكَة الحكم، إنه نسق الحكم،إنه ببساطة نسق لم يعد في حاجة إلى الرب، نسق للحكم يقوم على أساس العقل وليس الرب.[٢٢]

ويذهب كانط إلى القول بأنه على الرغم من أن المنطق هو الرغبة في الانتقال من المشروط إلى غير المشروط ، أو من المشروط إلى الضروريات ، فإنه – المنطق-يتعدى حدود الخبرة الممكنة بالتعامل مع هذا المثل الأعلى للعقل المحض كشيء، وعند مناقشة هذا النص، يذكر دولوز أن الله يُعامَل كَسَيد أو مبدأ المقاطع المنطقية المنفصلة ، ويتقدم المقطع المنطقي: إماPأوQ،ولكنه ليسQ،إذًا هوp. وهنا أظهر كانط كيف تؤدي هذه الفكرة البسيطة جدًا جميع أدوار الإله المسيحي الفلسفي؛ لذا إذا سئلت: «أتؤمنون بالله؟ "ينبغي لنا أن نرد بعبارات كانطية على وجه الدقة:" بطبيعة الحال ،ولكن فقط كسيد المقاطع المنطقية،أو كمبدأ مسبق لها حيث (عُرف الله بأنه الواقعية،التي منها تُستمد جميع الحقائق الثانوية من الانقسام)؛ لذا فالشيء الوحيد الذي هو إلهي هو طبيعة طاقة الانفصال.[٢٣]

وعلى نحو مماثل ،يدفع توقع دولوز الميتافيزيقي الملحد في العمل على الدين من داخل نفسه إلى تقديم المقولة التالية المتناقضة في كتابه عن نيتشه والتي تمثل هذا اللاهوت الشيطاني Satanic theologyوهي " المرء لم يعد بحاجة إلى الإيمان بالله إننا نبحث عن "الهيكل"،أي الشكل الذي يمكن أن تمتلئ به المعتقدات ،ولكن لا حاجة إلى ملء الهيكل كي يُدعى "لاهوتياً". إن دولوز يؤكد على أن اللاهوت هو الآن علم الكيانات غير الموجودة، الطريقة التي بها تُحرِّك هذه الكيانات – الإلهية أو المعادية للإلهية، المسيح أو ضد المسيح– إنه اللغة التي تجعل منها هذا الجسم المجيد المنقسم إلى انشقاقات، ولقد تحقق تتنبؤات نيتشه بشأن الصلة بين الله والقواعد؛ لكن هذه المرة على هيئة رابطة معروفة، وتكمن أهمية هذه التنبؤات في أنه بدلاً من تحديد ما يجري من خلال الاستبعاد ،أو إنكار مجموعة من الاحتمالات الموجودة من قبل،فإن القوة الرادعة قد تُفهم على أنها تأكيد على الاختلاف أو التفريق الذي يخلق إمكانيات جديدة؛ وهنا يؤكد دولوز فكرة هيوم، الذي يرى أنه لم تعد فكرة الله تعتبر موضوعًا من مواضيع العقيدة بل مبدأً ساميا في تشكيل العقيدة في

---

[٢٠] - 3-ibd. P143،

[٢١] - ibd.p.144

[٢٢] - جيل دولوز – كلير بارنت، **الالف – باء** ص ٩٥

[٢٣] - Editor Continental Philosophy and philosophy of Religion , p.145

حد ذاتها، والأمر الأكثر أهمية هنا هو أنه بدلًا من تصور الواقع بوصفه تحديدا تابعا لإمكانية محددة سلفًا، يمكن تأكيد الواقع تأكيدًا تامًا في التفريق والإبداع.[٢٤]

رابعًا: نفي الصفات وإثبات النفي.

لقد عرض دولوز في كتابه "اسبينوزا ومشكلة التعبير" هذه الإشكالية مرتين الأولى في الفصل الثاني تحت عنوان "الصفة كتعبير" والثانية في الفصل الثالث تحت عنوان "الصفات والأسماء الإلهية". كما أن له محاضرة تتعلق بالحوار الذي دار بين اسبينوزا ورجال اللاهوت، ذلك الحوار الذي انتهى باضطهاد اسبينوزا والتنكيل به وقد كان موضوع هذا الحوار العتيق هو الذات الإلهيةThe divine selfوصفات الله وسينتهي إلى نفي الصفات وإثبات النفي أي الحديث عن الله بالسلب لا بالإيجاب، وكان تحت عنوان (اللاهوت السلبي، الإله ما وراء اللغة) وهو ما يشبه علم الكلام عند علماء المسلمين.

يقول دولوز "كانت مشكلة صفات الله دائمًا على صلة وثيقة بمشكلة الأسماء الإلهية، كيف نستطيع أن نُسَمي الله إذا لم تكن لدينا عنه بعض المعرفة؟ ولكن كيف سنعرفه إذا لم يُعَرِف هو ذاته، بنفسه، بطريقة ما كاشفًا عن نفسه ومعبرًا عنها؟ [٢٥]

من وجهة نظر دولوز فإن "الله كجوهر أو ذات لا يمكن أن يُعرف إلا بصورة سلبية".[٢٦]ويحاول أن يبرهن على ذلك فيقول إنني بطريقة ما، لا أستطيع أن أقول عن الله إلا شيئا واحدا، وهو ما ليس يكونه، فأستطيع أن أقول إنه ليس بمربع، وليس بمثلث ولن يكون كذا ولا كذا...إلخ. إنه ليس بأي شيء! هذا هو ما سيسمى باللاهوت السلبيWith negative theology، فلا أستطيع أن أتحدث عن الله إلا على نموذج النفي، هل أستطيع أن أقول إن إلهًا موجودا؟ كما ذهب الصوفيون بعيدا في هذا المشوار، حتى في حدود هذا الخط ، سأقول إن الإله غير موجود ، لماذا أقول الإله غير موجود؟ لأنه يتجاوز حد الوجود ،تماما كما يتجاوز صورة المثلث، والوجود هو محمول أدنى منه وغير قابل للمقارنة به ؛ إذن وبطريقة حرفية، الإله غير موجود، فإذا قلت إن الإله موجود، سأقول إنه موجود لكن على نحو أعظم.

أعظم! يعني حرفيا ، بمعنى أعلى وبمعنى آخر وبمعنى أضخم، لكن في هذه الحالة، فهل ما قلته قبل قليل عن اللاهوت السلبي حقيقي، حيث إنه لا يتكلم عن الإله إلا عبر النفي؟ يقول لنا هذا اللاهوت مالا يكونه الإله فلا يستطيع قول شيء آخر إلا ما لا يكونه الإله، حتى إنني لا أستطيع أن

---

[٢٤] - Ibid. p145

[٢٥] - جيل دولوز، **اسبينوزا ومشكلة التعبير**.ص٢٩

[٢٦] - المصدر نفسه، ص٣٧

أقول إن الإله جميل، فهو أعظم من الجمال، حسنا، غير أن هذا ليس سوى المظهر الأولِي للاهوت السلبي، لأنني سأقول عبر اللاهوت السلبي ما لا يكونه الإله.[٢٧]

إن اللاهوت السلبي يُرَكِب إذن بين منهج النفي ومنهج الإثبات ويَدَعِي تجاوزهما كِلَيهِمَا، كيف نَعرف ما الذي يجب إنكاره من الله بوصفه ذاتًا إذا لم نعرفه أولًا؟ ما الذي يجب أن نؤكده منه بوصفه علة؟ لذا لا يمكن تعريف اللاهوت السلبي إلا بديناميكيته: فالإثباتات تتجاوز ذاتها في االنفي، والإثباتات والنفي يتجاوزا بعضهم بعضًا في تضمن غامض؟[٢٨]

وبطريقة صوفية بحتة، يغلب عليها الطابع السوفسطائي يقول دولوز: لكن ما لا يكونه الإله هو في الوقت نفسه ما يكونه ،لا يوجد الإله معناه أنه يوجد ،لكن يوجد تحديدا على النحو الأعظم ،أي بمعنى آخر غير كل الموجودات التي تعرض علينا في العالم ،الإله ليس جميلا ، معناه أنه جميل ، لكن بمعنى أعظم ، حيث كل الجمال الذي على الأرض يشكل بالنسبة إليه فكرة تافهة ، بما أنه هو الجميل بشكل غير محدود ، وبما أننا لا نعرف عن الجميل إلا الأشياء الجميلة طبقا للنهائية.[٢٩]

إذن ها هو اللاهوت السلبي وقد ابتكر لغة حيث النفي سلب ، لأن الإقرار هنا لهو إقرار أعظم من ثمة فإن رموز وكلمات هذه اللغة لها أساسًا عدة معاني ،فللكلمات معاني متعددة ومعاني كثيرة ،إذ أقضي كل وقتي أقول ،نعم أتفهمك ،لكن بأي معنى تقول هذا ؟ فلنعود للاهوت السلبي ، فهو التضخيم لهذا الظرف بالفعل ، ليس هناك أي حدود لدى اللاهوت السلبي، وهذا قد يلهم أجمل القصائد ،فيقال الإله جبل والإله عطر والإله سيف ،يعني ضمنيا ،هو ليس بعطر وليس بسيف وليس بجبل ،أي أنه يعني ضمنيا ما لا يكونه، فهو يكونه على النحو الأعظم بمعنى آخر مختلف عن المعنى العادي والمعنى المتداول ،الإله جبل ،لكن جبل أعظم ،أي في كل جبال العالم ،حتى جبال الهيمالايا ، لا تعطينا عنه إلا فكرة مشتبهة وخاطئة .[٣٠]

إذن لغة اللاهوت هذه ،تعمل على الواقع العادي اليومي ، حيث للكلمات عدة معان ،فهي ببساطة تدفع الأشياء إلى الحد الأقصى ،وما هو هذا الحد الأقصى ؟إنه وجود المعنى اللانهائي والمعنى النهائي في حالة اللاهوت ،حيث الأشياء نسبيًا جميلة والإله الجميل بشكل محدود ،والأشياء لها درجة محدودة من الكمال والإله الكامل مطلقا. [٣١]

كان من الممكن أن نطلق على هذا المقال (علم الكلام عند دولوز). وتظهر براعة القرآن الكريم في أنه يلخص ما قاله الفلاسفة في ألف صفحة بآية واحدة. وسنوضح ذلك، إن دولوز يدافع

---

[٢٧] - جيل دولوز **اللاهوت السلبي -الإله فيما وراء اللغة"** محاضرة ملقاة في ١٩٨١/٠١/٢٧. La Théologienégative: Dieu excédant le langage محاضرة ضمن سلسلة من المحاضرات ألقاها جيل دولوز حول اسبينوزا. ترجمة دكتور أحمد الطريبق. مؤسسة مؤمنون بلا حدود. ٢٠١٧ https://www.mominoun.com/ 11-١١-٢٠٢٠

[٢٨] - جيل دولوز، **اسبينوزا ومشكلة التعبير**، ص٣٧

[٢٩] - جل دولوز، **اللاهوت السلبي-الإله فيما وراء اللغة** https://www.mominoun.com/

[٣٠] - المصدر نفسه.

[٣١] - جيل دولوز، **اسبينوزا ومشكلة التعبير** ص٤٢

عن وجهة نظر اسبينوزا التي لا يؤمن بها. وهو في ذلك يشبه متصوفة العرب وأن كلامه لا يُحمَل على المعني الظاهر ولكن هناك معاني باطنية حيث إثبات الوجود يعني انعدامه في حين أن نفيه يعني وجوده. فقولي إن الله موجود يعني وجوده بصورة معينة يحملها ذهني القاصر عن الإحاطة بهذا الوجود، وعندما أقول إنه ليس موجود فهذا يعني وجوده بالشكل الذي يليق به، ولو قلت إن من صفات الله الجمال فهذا يعني أن الله ليس جميل لان جماله يختلف عن الجمال الذي أعرفه.

إن دولوز لم يجد وسيلة لإثبات الصفات إلا نفيها، أما القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية فقد أقرت الصفات ونأت بها عن التشابه مع ما نعرفه فقال الله سبحانه وتعالى في سورة الشورى"فَاطِرُ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أنفسكم أَزْوَاجًا وَمِنَ الأنعام أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.(٣٢)" الآية رقم"١١". وهذا يعني أن الله جميل ولكن ليس كجمالنا، سميع ولكن ليس كسمعنا، بصير ولكن ليس كبصرنا. فنحن لسنا في حاجة لنفي الصفات وإثبات النفي.

خامسًا: فكرة اختراع الكاهن.

إن الحزن مرتبط بالكهنة والطغاةPriests and tyrants. هكذا قال دولوز حيث يري أن الكهنة هم من يفصلون رعاياهم عما يقدرون على فعله، من يمنعونهم من تحقيق قدرات الفعل،وهو الداعي إلى جسم بدون أعضاء لا تتحكم فيه حتى أعضائه ويضيف إن نيتشه لم يكن معاديا يوما للساميةFor the sublime،لم يكن معاديا لليهوديةFor Judaism،ولكنه كان معاديا للشعب اليهودي لأنه اخترع شخصية الكاهن، يوجد العديد من التشكيلات داخل المجتمع مثل الساحر والكاتب إلا أن الكاهن اختراع غير معقول، اختراع مذهل تماما، وهذا أمر مشترك بين اليهود والمسيحيين.(٣٣)

١: الكاهن اليهودي.

يتساءل دولوز على لسان نيتشه: كيف تَشَكَّلَ الكاهن في تاريخ الشعب اليهودي؟ هذه هي المشكلة الحقيقية، حيث يرى نيتشه نفسه مخترع علم نفس الكاهن، فالشعب اليهودي قد وَجد شروط وجوده في الكاهن.(٣٤)

يقول نيتشه "ينطوي أصل الأخلاق على سيكولوجيا الكاهن الأولىThe psychology of the first priest" يوضح دولوز ذلك فيقول إن الكاهن هو الذي يقود الاتهام، ويتابع مسعى الانتقام أبعد فأبعد، وهو الذي يتجرأ على قلب القيم، إنه الكاهن اليهودي بشكله اليهودي، إنه الذي يتصور الحب حبا جديدا يأخذه المسيحيون على عاتقهم، مثل خلاصة حقد لا يصدق، هو الذي يشرع بالقول " التعساء وحدهم هم الطيبون، الفقراء، والعاجزون، والصغار هم وحدهم الطيبون، أولئك

٣٢- القران الكريم. سورة **الشورى**. الآية رقم ١١

٣٣-- جيل دولوز – كلير بارنت، **الالف – باء**، ص ص ٨٩-٩٠

٣٤- جيل دولوز **نيتشه والفلسفة**. ص١٦٤

الذين يتألمون والمحتاجون والمرضى والمشوهون هم أيضا الأتقياء الوحيدون الحاظّون ببركة الله، هم وحدهم من سيمتلكون الغِبطة ".[٣٥] وهنا يحل توليد الألم محل الاستمتاع بالذات حيث تعذب النفس نفسها اِلتِذاذًا بالتعذيب يجري السعي وراء العذاب والمرض والبشاعة والضرر الإرادي والتضحية بالذات مثلما يجري السعي وراء الاستمتاع وينتج عن ذلك مضاعفة الألم والإحساس بالخطأ. [٣٦]وعلى العكس النبلاء والقادرون هم الأشرار والقساة والجشعون ومن لا يشبعون، والزنادیق وسيبقون إلى الأبد منبوذين، هالكين، ملعونين. [٣٧]

إن الكاهن اليهودي يمتلك ازدواجية Duplicationلا مثيل لها "إنه ينحاز بحرية وبفهم عميق للبقاء، إلى كل غرائز الانحطاط، ولا يعني ذلك أنها تسيطر عليه، لكنه اكتشف فيها، قوة كان يمكن أن تجعله ينجح ضد العالم، ".[٣٨] ذلك هو الكاهن اليهودي، يحظى بكم هائل من الارتكاسية والشعور بالألم والخطأ فهل انتقل هذا الخطأ إلى الكاهن المسيحي.

٢ ــ الكاهن المسيحي

يقول دولوز "يسمون المسيحية دين الشفقة، والشفقة تتعارض مع الانفعالات المقوية التي تزيد من طاقة الحس الحيوي، الشفقة تعني العدم، ولا شك أن التصور المسيحي لله على أنه إله المرضى هو أحد التصورات الإلهية الأكثر فسادًا على الأرض ولم ينمُ ويزدهر هذا التصور إلا بواسطة الكهنة".[٣٩]

التجسد الثاني للكاهن هو التجسد المسيحي Christian incarnation، هذا الفنان الحقيقي للشعور بالألم، أن الكاهن المسيحي هو الذي يخرج الشعور بالخطأ من حالته الخام، هو الذي يشرف على استبطان الألم، هو الكاهن الطبيب الذي يشفي الألم عبر تلويث الجرح، هو الكاهن الفنان الذي يرتفع بالإحساس بالخطأ إلى شكله الأعلى، ولو أردنا أن نخْلُص بصيغة قصيرة قيمة وجود الكاهن ينبغي أن نقول "الكاهن هو الإنسان الذي يغير اتجاه الاضطغان".[٤٠]

يؤكد دولوز الظهور الثاني للكاهن المسيحي عندما يظهر ليُشرِف على تغيير الاتجاه فيخترع فكرة "الخطيئة" حيث بقيت الخطيئة حتى اليوم الحدث الأساسي في تاريخ النفس المريضة، إنها تمثل بالنسبة إلينا أكثر ضروب البراعة شؤمًا في التفسير الديني.

يري دولوز أنه ينبغي تقويم علاقة المسيحية باليهودية من وِجهَتَي نظر اثنين:فمن جهة جاءت المسيحية كتتويج لليهودية، إنها تُواصل مسعاها، وتُنجزه، فكل قوة الاضطغان تفضي إلى إله الناس الفقراء، والمرضى والخطائين، ويضيف دولوز قائلا إن نيتشه يشدد في صفحات مشهورة

[٣٥]- المصدر نفسه ص ١٦١
[٣٦]- المصدر نفسه. ص ١٦٥
[٣٧]- المصدر نفسه، ص١٦٢
[٣٨]- نفس الموضع
[٣٩]جيل دولوز، **نيتشه**، ص٩٦
[٤٠]- جيل دولوز **نيتشه والفلسفة**،ص ص ١٦٧-١٦٨

على طبع القديس بولس الحاقد وعلى سفالة العهد الجديد (على حد قول دولوز). حتى موت المسيح هي عطفة تَرجع إلى القيم اليهودية، فالمسيحية هي نتيجة اليهودية، نجد فيها كل المقدمات،ولكنها تمثل خلاصة تلك المقدمات.[٤١]

ومن وجهة نظر أخرى: تأتي المسيحية بنغم جديد فهي تفرض على مُتَبِعِيَها الإحساس بالخطأ، وهكذا يرى دولوز أن الكاهن اليهودي والمسيحي يعتمدان على فكرة الخطأ والخطيئة.

سادسًا: الدينونة والخيانة(خيانة الرب)

لقد كتب ((Ronald Bogue* تحت عنوان The betrayal of God ضمن كتاب Deleuze and Religion أنه في "الألف مسطح"، يحدد دولوز وغيتاري أربعة "نظم علامات"، أو أنماط منتظمة لعلاقات القوى تنظم إنتاجا لإشارات: النظام البدائي الذي يحمل دلالة مسبقة ؛ النظام الاستبدادي الذي يعني النظام؛ النظام البدوي المضاد للدلالة؛ والنظام العاطفي الذي يشير إلى الوضع، فالنظام الذي يحدد ما بعد الإشارة يعتبرونه "نظام الخيانة ،الخيانة الشاملة، التي لا يتوقف فيها الرجل الحقيقي عن خيانة الإله كما يخون الإنسان ،بغضب الإله الذي يحدد الإيجابية الجديدة". في هذا النظام ،يبتعد الإله والنبي عن بعضهما البعض، ويتجنبان وجوههما، وبذلك يرسمان 'خطا ايجابيا للهرب'. فالإله يخترع "العفو،والوجود في مهلة،والتأجيل إلى أجل غير مسمى"،بل يخترع أيضا "إيجابية التحالف،أو العهد،باعتبارها العلاقة الجديدة مع الإله ؛ لأن الموضوع لا يزال حيا"، ويضيف "رونالد" ما أود استكشافه هو منطق هذه الخيانة المتبادلة للإله والنبي، هذا النفور من الوجوه الذي يهرب، هذا الوجود المتوقف الذي يشير إلى علاقة جديدة...ولكن الخيانة نفسها توفر وسيلة لتخريب ما يشير إليه دولوز بـ "عقيدة الحكم"،وبالتالي التحرر من إله الحكم عن طريق الهروب.[٤٢]

إن دولوز يجعل فكرة الهروب مبدأ لخيانة الربBetrayal of the Lord، فالهروب هو نوع من الهذيانRave، الهذيان، هو بالضبط الخروج عن الخط المرسوم مثل "التلفظ بالحماقات"، ثمة شيء شيطاني، أو جِني، في خط الهروب، الجن يتميزون عن الآلهة؛ لأن للآلهة سمات وخصائص ووظائف ثابتة، مواطن وشفرات: ويرتبطون بالخطوط المرسومة، والتخوم وعمليات المسح، أما ما يخص الجن فهو القفز من فوق الفواصل، ومن فاصلة إلى أخرى، يسأل "أوديب" أي جِنِي قفز أطول قفزة، ثمة دوما خيانة على خط الهروب ليس خداع على طريقة رجل نظامي يدير مستقبله، بل خيانة على غرار رجل بسيط لم يعد له ماض ولا مستقبل، يخون المرء القَوِي الشيء الثابت الذي يريد إعاقته.[٤٣]

---

[٤١]- المصدر نفسه، ص١٦٩

[٤٢]- **Mary Bryden, Deleuze and Religion, Rout ledge is an imprint of the Taylor ، -،The betrayal of God،Ronald Bogue London and New York.p.21**

[٤٣]- جيل دولوز – كلير بارنت، **محاورات** ص ٤٣

لا شك أن النظر في قضية دولوز والدين يجب أن يتضمن بالضرورة مناقشة لكل من الطرق التي يتناقض بها فكر دولوز مع النقاش الديني ،والطرق التي يسهم بها في تلك المناقشات.[٤٤]

إن دولوز يضع تعريفا خاصا للخيانة حيث يقول لقد تم تعريف حركة الخيانة بأنها الإشاحة المزدوجة، الإنسان يشيح بوجهه عن الرب، الذي يشيح بوجهه عن الإنسان بنفس القدر، وفي هذه الإشاحة المزدوجة، في تباعد الوجهين، يرتسم خط الهروب، أي نزع توطين الإنسان ، ويضيف دولوز أن الخيانة مثل السرقة، أنها دوما مزدوجة، ونجد أن أوديب هي التراجيديا السامية الوحيدة لدي الإغريق، الرب الذي يشيح عن الإنسان، الإنسان الذي يشيح عن الرب، هذا هو الموضوع الَأَوْلَى للعهد القديم.[٤٥]

يرى دولوز أن الإنسان الفاضل هو الذي يخون تعاليم الرب لأنه يرى أن الخيانة تصل بك إلى إبداع يفوق تعاليم الرب ذاته؛ ولذلك نجده يتمادى إلى حد القول بخيانة الأنبياء فيقول "إن حكاية قابيل خط هروب، وحكاية يونس خط هروب: بهذا يتم التعرف على النبي، أنه يتخذ الاتجاه المعاكس لذلك الاتجاه الذي يأمره به الرب، وبذلك يحقق وصية الرب أفضل مما كان قد أطاع".[٤٦]

هكذا ينتهي دولوز من نقد الدين بنوع من التخبط والعشوائية، رافضا كل المبادئ العقلانية سائرًا خلف آراء بعض السابقين عليه، فكان أشد منهم عمى.

سابعًا: إحلال الأخلاق والعلم محل الدين.

يرى دولوز أنه ربما كان هناك سبب يجب على الناس من أجله أن يميزوا بين المعرفة والأخلاق والدين، لا بل يعارضوا فيما بينهم.... كما يرى أنه يجب أن نعترف بأن الأخلاق حلت محل الدين كعقيدة، وأن العلم يتجه أكثر فأكثر إلى الحلول محل الأخلاق. وفي ذلك يقول لقد خَرَبَتْ المسيحية بما هي عقيدة أخلاقها الخاصة بها، والذي انتصر على الله المسيحي إنما هي الأخلاق المسيحية بحد ذاتها. ففي نهاية المطاف تحظر غريزة الحقيقة على نفسها كذب الإيمان بالله هناك اليوم أشياء لم يعد مؤمنا ولا حتى كاهنا يقولها أو يفكر فيها فقط بعض الأساقفة أو البابا‌وات، مثل العناية الإلهية والرأفة الإلهية، والعقل الإلهي، والغائية الإلهية "هاكم طرقا من التفكير باتت اليوم من الماضي، يهتف ضدها صوت ضميرنا أنها لا أخلاقية ". غالبا ما يحتاج الدين إلى المفكرين الأحرار للبقاء وتلقي شكل مناسب.إن الأخلاق هي استمرار الدين لكن بوسائل أخرى، والمعرفة

[٤٤] - Deleuze and Religion, Rout ledge is an imprint of the Taylor London and New York.p8 MaryBryden,

[٤٥] - جيل دولوز – كلير بارنت، **محاورات** ص٤٣

[٤٦] - المصدر نفسه، ص ص٤٣-٤٤

Knowledgeهي مواصلة الأخلاق والدين لكن بوسائل أخرى.المثل الأعلى الزهدي في كل مكان، إن دولوز يؤكد أن " على المسيحية بما هي أخلاق أن تمضي أيضًا إلى خرابها ".[٤٧]

ويؤكد دولوز أن نيتشه يطلب منا تغيرًا آخر، يطلب تغير في المثل الأعلى، مثلًا أعلى آخر، لكن كيف يكون هذا التغير ممكنا في العالم الحديث؟ طالما نسأل ما هو المثل الأعلى الزهدي والديني، ونجد أن الأخلاق أو الفضيلة Virtueتتقدم للإجابة بدلا منه، تقول الفضيلة إنما أنتم تهاجموننني أنا بالذات لأني أكفُل المثل الأعلى الزُهدي هنالك في الدين ما هو سيئ، لكن ثمة أيضًا ما هو خير، لقد قطفت هذا الخير فأنا بالذات أريد هذا الخير، وحين نسأل لكن ما هي هذه الفضيلة وماذا تريد؟ تتكرر القصة ذاتها إن الحقيقة تتقدم شخصيا وتقول أنا من يريد الفضيلة، أنا أتحمل المسئولية عن الفضيلة هي أمي وغايتي أنا لست شيئا إذا لم أَفضِ إلى الفضيلة، والحال من ينفي كوني شيئا ما؟ إن المراحل التي قطعناها من الحقيقة إلى الأخلاق ومن الأخلاق إلى الدين، يزعم البعض جَعلُنَا نُهبِطُها من جديد بسرعة ورأسنا إلى الأسفل بحجة التطور، إن الفضيلة تتحمل المسئولية عن الدين وتتحمل الحقيقة المسئولية عن الفضيلة، تكفي إذ ذاك إطالة الحركة لن يجعلُونا نَهبط الدرجات ثانية، من دون أن نعثر على نقطة انطلاقنا التي هي أيضًا مَقفَزُنا، ليست الحقيقة بالذات عصية على النقد ولا هي من الحق الإلهي يجب أن يكون النقد نقد الحقيقة بالذات سوف تصل غريزة الحقيقة المسيحية من استنتاج إلى استنتاج ومن قرار إلى قرار، سوف نصل أخيرا إلى استنتاجها الأكثر إثارة للخوف إلى قرارها ضد ذاتها، لكن هذا سيحدث حين سَتَطرحُ على نفسها السؤال التالي ماذا تعني إرادة الحقيقة؟. [٤٨]

يؤكد دولوز أن نيتشه لا يريد أن يقول إنه ينبغي أن يحل مَثَلُ الحقيقة الأعلى محل المثل الأعلى الزهدي أوحتى الأخلاقي، يقول على العكس إن طرح إرادة الحقيقة، تفسيرها وتقويمها للمناقشة يجب أن يمنع المثل الأعلى الزهدي من أن يجعل مُثُلاً عليا أخرى تحل محله، مُثُلًا عليا تواصله بأشكال أخرى، حين نفضح في إرادة الحقيقة ديمومة المثل الأعلى الزهدي ننتزع من هذا المثل الأعلى شرط ديمومته، أو تنكره الأخير وبهذا المعني نكون نحن أيضا الحقيقيين، أو الباحثين عن المعرفة، لكننا لا نستبدل المثل الأعلى الزهدي، لا نترك شيئا يبقى من المكان بحد ذاته، نريد أن نحرق المكان نريد مثلًا أعلى آخر في مكان آخر، طريقة أخرى للمعرفة طريقة أخرى للحقيقة أي حقيقة لا تفترض سلفًا في إرادة للحقيقة، بل تفترض إرادة أخرى بالكامل.[٤٩]

ثامنًا: مسألة الخير والشر.

على الرغم من التعدد الكبير في المواضيع التي بحثها دولوز في أعماله المنفردة أو تعاونه مع المحلل النفسي فيليكس غيتاري، لم يعرب دولوز قط عن نيته في كتابة عمل أخلاقي أو فلسفة

[٤٧]- جيل دولوز **نيتشه والفلسفة**، ص ص ١٢٥-١٢٦
[٤٨]- المصدر نفسه، ص ١٢٦
[٤٩]- المصدر نفسه، ص ١٢٧

أخلاقية Moral philosophyبالمعني التقليدي لاستخدام المصطلح، وعلى هذا النحو فإن أي مناقشة حول الأخلاقيات في عمل دولوز تختصر في بيانات مقتضبة وإن كانت ذات بصيرة ثاقبة ومهمة.[٥٠]وسيحاول الباحث تناول الجانب الأخلاقي عند دولوز من جوانب عدة منها الديني والإنساني.

يرى دولوز أن النظرية العقلانية التي مَفَادَها "الشر ليس شيئًا" من دون شك واحدة من النظريات الشائعة للقرن السابع عشر. والتي أحدث اسبينوزا فيها تغيُرًا جِذريًا، فإذا لم يكن الشر شيئًا فليس ذلك لأن الخير وحده يوجد ويجعل الوجود ممكنًا، بل على العكس إن الخير لا يوجد أكثر من الشر، ولكن الوجود هو "فيما وراء الخير والشر". [٥١] واللفظ ليس غريبًا عن مسامعنا فهو هنا يعيد مقولة أستاذه نيتشه الذي أكد أننا عندما نُبدِي وبصورة خطرة مقاومة ضد ما اعتدنا عليه من مشاعر قَيمِيَة فإننا نطرح أنفسنا فيما وراء الخير والشر.[٥٢]

ولا شك أن دولوز يتقارب دون أن يدري مع العقيدة الإسلامية حول مفهوم الشر، فالشر هو الأذى أو الفساد، بينما يُعَرِف دولوز الشر فيقول "إنه تهديم العلاقة التي تميز نمطًا ما وتُفَكِكُه".[٥٣] فإن الشر أمر عدمي Nihilistوليس وجودي، فكل ما يحدث لك هو خير؛ ولتوضيح ذلك نذكر مثال بسيط "الطفل الذي فَقَدَ نقوده لا يمثل ذلك شرًا له لأنه سيحاول الحفاظ عليها فيما بعد، الشخص الذي أصيب بمرض سيعرف قيمة الصحة، وهكذا "لا يوجد لدينا شيء هو شرير، وإنما لدينا ضار وسيء وهذا من خلال تفكك العلاقات الرابطة بين خواص الأحوال لعدم التوافق وانخفاض قوة فعلنا، ويعتبر دولوز تطبيق مفهوم الشر بمعني تفكك العلاقات هو ما رآه اسبينوزا في نقده للكتاب المقدس، فالتحريم هو عملية بيان من الله لعدم توافق العلاقات مع أجسامنا، وهذا أورده من خلال مَثَل شهير أورده (بلينبيرج) و-هو دبلوماسي ألماني التقي باسبينوزا-من خلال سؤال طرحه على الديكارتيين (كيف يمكن للإله أن يكون علة الإرادات الشريرة، مثل إرادة آدم في أكل الفاكهة المحرمة مثلا)". [٥٤] وبما أن الشر عدمي، فلا يكون الله قد أراد الشر، وإنما يوضح عدم التوافق بين جسم آدم إذا أكل التفاحة ، فهو لا يفهم العلة الحقيقية الضرورية.[٥٥]يتقارب ذلك بشدة مع العقيدة الإسلامية في علة التحريم فما من شيء حُرِمَ إلا لعله وليس الغرض منه التضييق فعندما نقول احترس منطقة ألغام فأنا لم أضيق عليك أماكن التنزه ولكني أمنع عنك الهلاك، كذلك عندما يُحَرِم عليك الله شرب الخمر فهذا لا يعني تقليل المتعة ولكن لمنع الضرر عنك، أو كما قال اسبينوزا لعدم توافق العلاقات مع أجسامنا.

---

٥٠ Christos Marneros. Critical Legal Thinking, law and the political. Gilles Deleuze: Ethics and Morality, 2019, https//. Critical Legal Thinking. com -

٥١ - جيل دولوز، **اسبينوزا فلسفة عملية.** ص ٤٢

٥٢ - نيتشه، **ماوراء الخير والشر تباشير فلسفة للمستقبل**، ترجمة جيزيلا فالور حجار، دار الفارابي، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ص ٢٥

٥٣ - جيل دولوز. **اسبينوزا ومشكلة التعبير** ص ٢٠٣

٥٤ - حيدر الدبيسي، **النص الفلسفي الحديث في قراءة جيل دولوز المعاصرة**. ص٧٨

٥٥ - جيل دولوز، **اسبينوزا فلسفة عملية**.ص٤٢

نعود للمَثَل الذي طرحه (بلينبيرج) يرى دولوز أن اسبينوزا لن يكتفي بأن يعرض بشكل عام المعنى الذي بمقتضاه يكون الشر غير موجود، بل سيجيب مستعملًا نفس مثال (بلينبيرج) بالقول (إن تحريم الفاكهة تَمَثُل فقط في الكشف الذي قدمه الإله لآدم عن النتائج القاتلة التي ستنتج عن التهام هذه الفاكهة، تمامًا كما نَعرف نحن بنور طبيعي بأن السُم يقتل. ما يعنيه هذا الأمر هو أن الإله لا يحرم شيئًا، لكنه يخبر آدم بأن الفاكهة بالنظر إلى تركيبها ستفكك جسمه إن أكلها، هنا سيكون للفاكهةُ مفعول السُم). [٥٦] إن التحريم هنا لا يمثل شر بل هو الخير الأعظم.

لذا نجد أن مسألة الخير والشر عند دولوز تأخذ بعدًا معرفيًا من خلال جهل العلة الخاصة المسببة لعدم التوافق بين جسم وعلاقاته مع جسم آخر، فجهلنا بعدم التوافق هو الذي يعطي إيعازا لمخيلتنا بتصور معني الشر، الذي ليس هو إلا عدم التوافق بين العلاقات وانخفاض قدرة فعلنا بعد انضمام علاقة جديدة.[٥٧]

وهنا نلاحظ إغفال دولوز لمفهوم الخير فهو يري أن كل الحياة خير وهذا على خلاف كثير من الفلاسفة فمثلا كانط يرى أن هناك نوعين من الخير خير طبيعي محسوس والآخر خير خلقي معقول وهو الخير الأسمى، كما أنه أدان الرذائل مثل الشراهة، وإدمان الخمر.[٥٨] إلا أن دولوز يري أن الشر هو شيء تكاملي للأشياء فالسُم من كماله هو ذاتيته السمية وتأثيرها؛ لذا لو التقى مع جسم إنسان من خلال جوفه يسعى لفرض تكامله بعلاقة جديدة يؤسسها لأنها من كمال تكوينه، أما بالنسبة للإنسان فهي سعي لتفكيك علاقاته، وبالتالي الشر في ذاته هو تكامل وليس نقص، وعلى ذلك الشر غير موجود.[٥٩] وربما تكون هذه الفكرة مستمدة أيضًا من الفكر الصوفي حيث النظر بأن كل ما أصابك إنما هو خير فلا وجود للشر في العالم.

تاسعا: نقد الفلسفة البيئية(حقوق الحيوان بين دولوز وسينجر)

أصبح الاهتمام بالفلسفة البيئة environmental philosophyضرورة عصرية، والمطلع على الفكر البيئي خاصة في حقوق الحيوان وما يصاحبه من آراء يدرك مدى تهافت هذه الآراء بالنسبة لأفكار جيل دولوز حول رؤيته للحيوان ، وسوف يتوقف الباحث مع أحد أعمدة هذا الفكر لتوضيح ضآلته أمام دولوز ومن ثم فما دونه هو أقل ضآلة.

اعتمد بيتر سينجر في إقرار مذهبه على مذهب المنعة العامة public benefitويرى أن النفعية قائمة على ما يسميه بمنح "الاعتبار نفسه للمصلحة"، وفي ذلك يقول إن الألم هو الألم، سواء كان ألمي أو ألمك أو ألم أي أحد آخر، ومدى الألم الذي تشعر به الحيوانات غير البشرية هو نفسه المدى الذي يجب أن نضعه في الاعتبار حين نتخذ قرارات تؤثر فيها، وأنه يجب أن نمسك

---

[٥٦] - المصدر نفسه.ص ص٤٢-٤٣

[٥٧] - حيدر الدبيسي مرجع سابق ص ٧٩

[٥٨] - هدى محمد عبد الرحمن جاب الله **فلسفة الأخلاق عند ديريك بارفت**. رسالة دكتوراه غير منشورة، اشراف د. إبراهيم طلبه سلكها كلية الآداب جامعة الفيوم. ٢٠١٢، ص ص ٦٦-٦٧

[٥٩] - جيل دولوز. **اسبينوزا ومشكلة التعبير**، ص ٢٠٤

إن كانت أفعالنا ستسبب لها الألم. ولكنه ككل النفعيين، يطبّق مبدأ "السعادة القصوى"، القائل بأن علينا اتخاذ القرارات بكيفية تنتج أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد، يشير سينجر إلى أنه لم يقل البتة أن التجارب على الحيوانات غير مبررة على الإطلاق، وإنما أن علينا حساب جميع الأفعال من خلال تبعاتها، و"مصالح الحيوانات من بين هذه التبعات"، أي أنها جزء من المعادلة.[٦٠]

كما يرى بيتر سينجر أن الحيوانات قادرة على الشعور بالسعادة والشقاء واللذة والألم مثلها مثل البشر تماما؛ لذا علي البشر أن يضعوها في الحسبان، مقابل المنفعة التي يجنيها الباحث العلمي من التجارب التي يجريها على الحيوان، وينبغي علينا أن نضع معاناة هذه الحيوانات في المعامل.[٦١]

قد يبدو تعاطف سينجر مع الحيوان جليا للوهلة الأولى، إلا أن الباحث المدقق لهذه النظرة سريعا ما يتبدد أمام عينيه هذا التعاطف فهي نظرة نفعية لا تحمل بين طياتها احترام الحيوان لذاته، فهي من قبيل لا تؤذي هذه الشجرة ليس احتراما للشجرة ولكن حتى لا تتعود على الإيذاء فكما أنه ليس من حق الإنسان إيذاء الإنسان فكذلك ليس من حق الإنسان إيذاء الحيوان، وهذا ما أكد عليه "توم ريجان" (Tom Regan (٢٨ نوفمبر ١٩٣٨–١٧ فبراير ٢٠١٧)بعد ذلك عندما قال "إن إيذاء الكائنات البشرية لأجل منفعة أو متعة هو انتهاك لحقهم في عدم الأذى، فإذا كان من حق الإنسان البشري عدم الأذى فهو كذلك من حق الحيوان غير البشري ". [٦٢]

إن مذهب المنفعة الذي استند إليه بيتر سينجر لا يستطيع أن يمحو عن نفسه صفة الأنانية مهما عمل على توسيع دائرة المنفعة لكثرة النقد الذي وجه إليه، فإذا كانت المنفعة هي مصدر الأخلاق فكيف ننتظر منهم مذهب أخلاقي؟ وهذا مالا نجده عند فيلسوفنا جيل دولوز.

قد يصدمك دولوز عندما يقول " ليس البشر من يعرفون كيف يموتون، بل الحيوانات، وحين يموت البشر فإنهم يموتون مثل الحيوانات".[٦٣]لقد كانت الحيوانات مهمة جدا في كتابات دولوز بدءًا من "الصيرورة حيوانا" في كتاب "أوديب - مضادًا"، فهو لا ينظر إلي الحيوان الذي يعيش في عالم الإنسان بل ينظر إلي الحيوان في عالمه الخاص حيث يقول جيل دولوز في سياق جوابه عن سؤال كلير بارنت وهما يتناولان حرف "A"أن"كل حيوان له عالم"، كلمة دولوز هذه هي صرخة موجهة إلى كل الذين لا يؤمنون ب "هذا العالم"، إنهم يحيون حياة الجميع، أي، حياة مجرد أي شخص وأي شيء، أما الحيوان فله عالم يعكس تناغما حيويًا أصيلًا مع الطبيعة، بحيث يتم نسج علاقات ولقاءات وتنسيقات مع عناصرها المتنوعة والمختلفة، ينتج عنها عملًا فنيًا رائعًا، وهذا ما جعل جيل دولوز يقول: "ربما يبدأ الفن مع الحيوان". فالحيوان هو طور من أطوار

---

[٦٠]- فكري آل هير، **واحدية تكافح وذوات تعاني-قراءة في فلسفة بيتر سنجر الأخلاقية**، https://www.noor-book.com/٢٠١٩، ص ٨ ٣١-٣-٢٠٢١

[٦١]- مصطفي حسن النشار،و آخرون. **الفلسفة وقضايا البيئة**، وزارة التربية والتعليم المصرية ٢٠٢١، ص١٢

[٦٢]- المرجع نفسه ص١٢

[٦٣]- جيل دولوز – كلير بارنت –**الألف-باء** ص١٠

صيرورة دائمة، هي الصيرورة الكونية التي تشمل الصيرورات الأخرى وترتبط بها الشيء الذي يفترض حسب دولوز، هجر تلك العلاقة الإنسانية مع الحيوان، وإقامة "علاقة حيوانية" معه.[٦٤]

وإذا أردنا أن نتحدث عن عالم الحيوان عند دولوز فلنقم بتوضيح معالمه كما يراها هو لا كما يراها فلاسفة الأخلاق البيئية Environmental Ethicsلنرى شموليتها واتساعها: -

١- الطابع المختزل لعالم الحيوان

لا يريد دولوز مثل سينجر أن يتساوى الحيوان مع الإنسان تحت مذهب المنفعة، بل على العكس إنه يريد من الإنسان أن يلحق بركب الحيوان، أن يقلده، حيث يرى أن كثير من البشر ليس لديهم عالم، رغم ما يمتلكون من إمكانيات ضخمة إلا إنهم يحيون حياة الجميع، ولم يقل حياة القطيع فالحيوان له عالم رغم فقر هذا العالم، في حين أن البعض يعيش بلا هدف، وبلا عمل، وبلا رؤية أو تحدٍ ، وما نريد تأكيده هنا أن دولوز يختلف عن سينجر من حيث المضمون، دولوز يبحث عن مذهب أخلاقي لهذا العالم الموازي لنا، إنه عالم الحيوان، بينما سينجر يبحث عن المصالح "حيث يُنَحِي أتباع مذهب الحماية إلى الإصلاح التدريجي في معاملة الحيوانات، وذلك بهدف الحد من استخدام الحيوان بشكل تام أو شبه تام، وهذا يمثل موقف بيتر سنجر، الذي لم يركز على الحقوق الأخلاقية إنما على فكرة أن للحيوانات مصالح، لا سيما مصلحة عدم المعاناة وأنه لا يوجد سبب منطقي أو أخلاقي يمنع من منح تلك المصالح القدر ذاته من الاعتبار".[٦٥]

بينما يتساءل دولوز ما هو عالم حيوان؟ ويقول "إنه شيء محدود بصورة غير عادية، فالحيوانات تستجيب لأشياء بالغة الدقة ".[٦٦] ويضرب مثالا عن حيوان ضئيل مثل "القمل" فيقول "تستجيب القملة(القرادة) لثلاث أشياء؛ ففي عالم طبيعي هائل، ثلاث مثيرات، وهذا كل ما هناك: بمعنى أن القملة تميل إلى طرف غصن شجرة، ويجذبها الضوء، يمكنها الانتظار على قمة هذا الغصن، يمكن الانتظار لسنوات دون طعام، دون أي شيء، في حالة غير متشكلة تماما، وتنتظر حيوانا مُجترًا، حيوانًا آكلًا للعشب، حيوانًا يمر أسفل الغصن، هذا هو المثير الثاني: الضوء أولا، ثم الرائحة، ثم حين تسقط على ظهر الحيوان المسكين، تمضي بحثا عن المنطقة التي يغطيها أقل ما يمكن من الشعر، هناك إذن مثير لمسي، ثم تنغرس تحت الجلد وتجاه أي شيء آخر، إذا استطاع المرء قول ذلك، تجاه أي شيء آخر، لا تكترث مطلقا بمعنى أنها في طبيعة تعج بالحياة، تختار ثلاث أشياء هذا ما يؤسس عالما.[٦٧] ثلاث مثيرات استطاعت أن تُكَون عالم في حين يمتلك بعض البشر الميول والدوافع والانفعالات والرغبات والقوة والعقل والإمكانيات ولا يستطيع أن يُكَوِنُوا عالم أو يعيشوا في وطن، ويظلوا غرباء بلا انتماء لأرض أو لدين.

---

[٦٤]- ادريس شرود، **كلمة دولوز كل حيوان له عالم**، أنفاس نت نوفمبر ٢٠١٧ https://anfasse.org/e-walker/ralyeka698/7721.html ١-٤-٢٠٢١

[٦٥]- **حقوق الحيوان**https://www.wikiwand.com/ar/٢-٤-٢٠٢١

[٦٦]- جيل دولوز، كلير بارنت، **الألف-باء** ص٥

[٦٧]- المصدر نفسه ص ص٥-٦

٢- الحيوانات ذوات الموطن

"لا يكفي امتلاك عالم لكي يكون حيوانا ولكن لابد من الموطن" هكذا تحدث دولوز، حيث رأى أن تكوين الحيوان للموطن هو أمر مدهش وكيفية رسم الحيوانات لتخوم موطنه. الجميع يعرفون، الجميع يستحضرون دائما قصصا عن الغدد الشرجية، عن البول، الذي يحدد بها حدود موطن ، لكن الأمر أكثر من ذلك بكثير: فما يتدخل في وسم حدود موطن ما هي أيضا سلسلة من الأوضاع مثلا، خفض الكائن لنفسه/رفع الكائن لنفسه؛ سلسلة من الألوان...اللون، الأغنية، الوضع، هذه هي محددات الفن الثلاثة: أعني، اللون والخطوط -أحيانا تكون أوضاع الحيوانات خطوطا حقيقية -اللون، والخط، والأغنية-هذا هو الفن في حالته الخالصة، إن الموطن يؤسس ممتلكات الحيوانات، وبتركها لموطنها فإنها تخاطر بهذه الممتلكات، وهناك حيوانات تتعرف على شريكها في الموطن لكن ليس خارج الموطن.[٦٨]

إن الحيوانات تبث علاماتSigns، دون انقطاع، تنتج علامات ، بالمعنى المزدوج، أنها تقوم برد فعل للعلامات، فالعنكبوت، مثلا تقوم برد فعل لكل ما يلمس شبكتها، تقوم برد فعل لأي شيء، تقوم برد فعل للعلامات -وتنتج علامات- فمثلا، العلامة الشهيرة، هل هذه علامة ذئب، أثر ذئب أم شيء آخر؟ لا وجود سوى لبعض علامات عبارة عن نجوم وسط ليل حالك وطويل جدا. صيرورة -عنكبوتية، صيرورة قملية، صيرورة قراديه، حياة مجهولة وقوية ومظلمة وعنيدة إن الصيادين الذين يتعرفون على هذه العلامات يقيمون مع الحيوان علاقة حيوانية، وهذا ما يعنيه دولوز بإقامة علاقة حيوانية مع حيوان ما.[٦٩]

٣- العلاقة بين الحيوان والكاتب

ما هي العلاقة بين الحيوان والكاتب؟ لكي نجيب عن هذا السؤال يجب أن نُعَرِف مَنْ هو الكاتب؟ هل هو من يكتب من أجل قُرائه؟ أم هو من يكتب باتجاه قُرائه؟ يرى دولوز أن الكاتب هو مَنْ يكتب بدلًا عن القراء أي ليس موجَها إليهم، بل، بدلا عنهم، ويقدم استشهادًا ل "آرتو" عندما قال " أنا أكتب من أجل الأميين، أكتب من أجل الحمقى" و "فوكنر" يكتب من أجل الحمقى، ولا يعني هذا أن الحمقى سيقرأون، أو أن الأميين سيقرأون، بل يعني بدلًا عن الأميين، بدلًا عن الحمقى.[٧٠]

إن دولوز يكتب من أجل الحيوان أو فلنقل بدلًا عن الحيوان بل لقد اتسع الأمر للحد الذي جعله يقول الكاتب مُشعوذswindler لأنه يرى أن الحيوانات هم السكان الوحيدون المسئول أمامهم، فالكتابة تعني بالضرورة دفع اللغة إلي الحد الذي يمكن التعبير عنها بطرق عديدة، يمكن أن يكون الحد الذي يفصل اللغة عن الصمت، أو الحد الذي يفصل اللغة عن الموسيقى، أو الحد

[٦٨]- المصدر نفسه ص ٧
[٦٩]- المصدر نفسه ص٨
[٧٠]- المصدر نفسه ص٩

الذي يفصل اللغة عن شيء آخر يمكن أن يكون النحيب، الجميع يقولون إنه "كافكا" مسخ الكائنات، إن المدير الذي يصيح يبدو مثل صوت حيوان، النحيب المؤلم ل "لجريجور" أو كتلة الجرذان، إن المرء يكتب من أجل كتلة الجرذان ومن أجل كتلة الفئران الذين يموتون لأنه علي نقيض ما يقولون " ليس البشر من يعرفون كيف يموتون، بل الحيوانات، وحين يموت البشر، فإنهم يموتون مثل الحيوانات" لقد رأى دولوز كيف يفتش حيوان ما عن ركن ليموت فيه، حيث هناك موطن للموت، ومن ثم بمعنى من المعاني، إذا كان الكاتب حقا شخصا يدفع اللغة إلي حدها الأقصى، الحد الذي يفصل اللغة عن الحيوانية، الذي يفصل اللغة عن الصرخة، الذي يفصل اللغة عن الأغنية، فيجب إذن على المرء أن يقول نعم، إن الكاتب مسئول أمام الحيوانات التي تموت، بمعنى أنه يجيب عن الحيوانات التي تموت، يكتب بدلا عن الحيوانات التي تموت، يجب علي الكاتب أن يحمل اللغة إلى هذا الحد "فما من أدب لا يحمل اللغة وتركيب الجملة إلي هذا الحد الذي يفصل الإنسان عن الحيوان".[٧١]

٤- الحيوان وبداية الفن

إن الشيء الذي جعل دولوز يربط بين مولد الفن والعمل المبدع للحيوانات هو الموطن ، ربما يبدأ الفن مع الحيوان، على الأقل مع الحيوان الذي يقتطع قطعة أرض ويصنع بيتا (العملان مرتبطان أو حتى أنهما يختلطان أحيانا فيما نسميه المسكن)، فإنه انطلاقا من النظام المؤلف من قطعة أرض- بيت، قد تشكلت وظائف عضوية كثيرة، مثل الجنسانية،sexuality التناسلreproduction، العدوانيةaggressive، التغذيةnutrition، ووظائف تعبيريةexpressive functions،خاصة مع ذلك التدفق المثير للحركات (أوضاع جسدية: انحناءات واستقامات، حلقات وسمات ألوان) وعلاقتها بالأرض أو الإقليم، والتي تؤلف كتلا من الإحساسات وتبدع عملا فنيًا متكاملا.[٧٢]

إن هذا الإحساس المرهف الذي ينظر به دولوز إلي الطبيعة والحيوان كفنان أولا ثم كمصدر للفن ثانيا لا تجده عند كثير من الفنانين، حيث يرى أن زنبقة الحقول البسيطة تحتفل بمجد السماوات، إن عصفور الغابات الممطرة في أستراليا يُسقِط من الشجرة الأوراق التي قطعها كل صباح، ويقلبها لكي يتعارض وجهها الداخلي الأكثر شحوبا مع الأرض، وهو بذلك يبني نوع من المسرح كعلامة فارقة خاصة به ولا يغرد إلا وهو في الأعلى أغنية معقدة مركبة، من أنغامه الخاصة وأنغام عصافير أخرى يقوم بتقليدها خلال الفواصل إنه فنان بحق.[٧٣]

هكذا إن كان الفن نغمات وأصوات ومسرح وتقليد فما أكثرها الطيور المغردة، وإن كان الفن كتل وألوان فلا يوجد فن إلا عند الحيوان، وإن كان الفن لزمات وأوضاع جسدية وانحناءات

---

[٧١]- المصدر نفسه ص١٠

[٧٢]- جيل دولوز وفليكس غيتاري **ما هي الفلسفة** ص١٩١

[٧٣]- المصدر نفسه ص١٩٢

واستقامات فاللازمة بكاملها هي كينونة الإحساس والأنصاب هي لازمات ومن هذه الوجهة لا ينفك الفن منشغلا بالحيوان.

تلك هي نظرة دولوز لحقوق الحيوان، نظرة تبتعد عن المنفعة، وتنأى عن أي مصلحة شخصية، لقد نظر دولوز للحيوان باعتباره كائن يمتلك مثل الإنسان جسم وروح، وربما كانت نظرة مخالفة للفكر المعاصر إلى حد ما ويعود هذا الاختلاف في جوهره إلي طبيعة فكرة الجسم عند دولوز كما ذكرنا في الفصل السابق.

عاشرا: فلسفة البيوتيقا.

البيوتيقا Bioethics مصطلح جديد مشتق من مصطلحين إغريقيين هما "بيوس" أي حياة و "ايتوس" وتعني ايتيقا. ويشير هذا المصطلح الى التفكير المهيمن في القرن العشرين حول التقدم البيوطبي والصحة والمرض والتصرف في الحياة.[٧٤] وللبيوتيقا تعريفات متعدد منها ما ورد في معجم العلوم الإنسانية والذي ينص على أن" مفهوم أخلاقيات الحياة(البيوتيقا) أطلقه الأخصائي بأمراض السرطان (فان بوتر) وتعني "تحسين صفة الحياة "حيث شهدت الآونة الأخيرة نقاشًا حادًا نتيجة تقدم الأحياء، والتلقيح الصناعي، والهندسة الوراثية، والاستنساخ، لأنها أمور أثارت العديد من المسائل الأخلاقية". [٧٥]

سنحاول هنا توضيح الجانب البيوتيقي عند دولوز من خلال نظرته للمرض وهل هو أمر سيء أم أحيانًا يجلب البهجة؟ وإذا كانت البيوتيقا هي علم يهدف إلى البقاء فهل يجب إهانة الجسم من أجل ذلك؟ هل الشيخوخة فناء أم أنها مرحلة ممتعة يجب استغلالها بعد الوصول إليها؟كما سنحدد موقف دولوز من سلطة الأطباء.

١- المرض.

ربما نعلن في النهاية أن دولوز معادي للبيوتيقا شكلًا ومضمونًا ،وذلك من حيث أنها "تتمحور حول مبادئ البحوث الطبية والتطبيقات العلاجية التابعة لها ووضع القواعد والحدود الطبية والعلمية للمريض والطبيب".[٧٦] في حين يرى دولوز أن المسؤولية الأخلاقية تلزمنا أن نخضع للطبيعة دون تدخلات بشرية فالمرض على حد قوله" يشحذ نوعًا من رؤية الحياة أو حِسًا بالحياة بمعنى أن ترى الحياة بكل قوتها، وبكل جمالها".[٧٧]وهنا لا يرفض دولوز تناول الدواء مثلًا ولكن كما أننا لا نقاوم الصحة فيجب علينا ألا نهدف للتخلص من وجود المرض، وفي ذلك يقول: -

---

[٧٤] - جي ديران، **البيوتيقا**، ترجمة محمد جديدي، دار جداول للنشر والتوزيع، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص٤٠

[٧٥] - جان فرانسوا دورتيه، **معجم العلوم الإنسانية**، ترجمة، جورج كتورة، دار الكلمة، أبو ظبي، الطبعة الرابعة ٢٠٠٩. ص٢٩

[٧٦] - عمر بوفتاس. **البيوتيقا**، دار النشر إفريقيا الشرق، دط بيروت ٢٠١١ ص١٤

[٧٧] - جيل دولوز-كلير بارنت. **الألف-باء** ص١٠٧

"قد يرى البعض أن المرض هو أمر يعيق الفكر إلا أن الشواهد تؤكد مدى الحالة الصحية المُعتلة للمفكرين العِظام أمثال (نيتشه) و(اسبينوزا) وهنا كان السؤال هو، ما إذا كان المرض يجعل الأمر أسهل على شخص يتولى مهمة؟ ويضيف دولوز لا أتحدث عن نجاح المهمة ولكن عن شخص يتولى ويتمتع بمشروع فكر يحاول التفكير فيه ويحاول إنجاحه، فهو يعتقد أن حالة مرض ضعيف جدًا تحبذ هذا الأمر إن التفكير يبدوا له وكأنه يضبط نفسه على نغمة الحياة والضبط على قناة الحياة ليس ما يجري بداخلك إنه شيء مختلف تمامًا عن التفكير في صحة المرء ذاتها.لذا يرى أن حال الصحة الضعيفة تنشط هذا النوع من الضغط فمثلا "لورانس" و"اسبينوزا" فإنهم إلى حد ما رأوا شيئا مفرط الضخامة فهو الضخامة بحيث كان أكثر مما يحتملون صحيح أن المرء يقاوم التفكير إذا لم يكن بالفعل في مجال يتجاوز قدره بعض الشيء أي يجعله هشًا وفي الحقيقة أن لحظة تشخيص المرض تجعل الفرد يتحول إلى كائن آخر يبحث عن الفكر وعن تحقيق فكره معينه".[٧٨]

ويضيف دولوز المرض هو مسألة معرفة فيما يستخدم؟ حيث يستطيع الإنسان من خلاله استعادة القليل من قدرة الفعل ومن هنا يجب استخدامه من أجل شيء آخر من أجل الشعور بعلاقة الحياة ، وبالنسبة له إن المرض ليس عدوًا، ليس شيئا يبعث الشعور بالموت بل هو شيء يبعث على الشعور بالحياة إن الصحة لا تعني العيش الجميل وعلى النقيض فإن الكثير من العظماء أصحاب الصحة بالغي الضعف، ويتساءل كيف يمكن أن يحصل المرء على منافع ثانوية من المرض؟ويرى أن الأمر بسيط جدًا "المرء يعمل بشكل مفرط ، الأمر الذي يجب ألا يفعله فالطبيب مثلا لديه أكثر مما يجب من المرضي ومن هنا فإن تحقيق منفعة من المرض يعني تحرير المرء لنفسه من أشياء لا يمكن التحرر منها في الصحة العادية فالمرض محرر بصوره استثنائية وهو جيد جدا من هذه الزاوية". [٧٩] هكذا يرى دولوز أن المرء قد يُرهَق من أمور شَتَى وقد يموت وهو يؤديها ولكنه لا يتوقف لأنه ليس مريض، في حين أن المرض يعطى للفرد مهلة لالتقاط أنفاسه حتى يستطيع أن يصل إلى الشيخوخة وقليل من يصل إليها.

٢- الشيخوخة.

لقد ذكرت (جاكلين روس) Jacqueline Roseوهي من مواليد سنة ١٩٤٩في كتابها المعنون (الفكر الأخلاقي المعاصر) - وهو كتاب عن الفكر البيوتيقي- كلًا من دولوز وغيتاري تحت عنوان "الرغبة والسيالات الحيوية (دولوز وغيتاري)" في محاولة منها لإثبات أن الرغبة الإنسانية بوصفها إرادة قوة، ترتسم أخلاق فرحة وبهجة نظرية قائمة على أساس القوة التأكيدية وحدها بعد خلاصها من العَوَزْ، وهي ترجع إلى الفرح والحكمة التي تقع بين القوة والفعل.[٨٠] ونسِيَتْ أو تَنَاست أن الرغبة عند دولوز لا تتعارض مع المرض ولا مع الشيخوخة، فهي سياق متكامل كما أن دولوز فرَق بين الفعل والقدرة على الفعل، فالبهجة تكون في ذروة قدرتنا على الفعل ومن ثم

---

[٧٨]- المصدر نفسه، ص ص ١٠٤-١٠٥

[٧٩]- المصدر نفسه، ص ص ١٠٦-١٠٧

[٨٠]- جاكلين روس، **الفكر الأخلاقي المعاصر**، ترجمة عادل العوا، دار عويدات، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١ ص ٥٤

لابد أن نهرب من الذنب ومن المشاعر السيئة، ومن الحزن، لنخرج إلى الفعل ولن يكون الفعل في علم البقاء Survival Scienceولكن ربما يكون الفعل في الشيخوخة حيث يقول "إنني أجد الشيخوخة سِنًا رائعًا، إنني أستحضر قدرات فعل الشيخوخة، إنها كم هائل من قدرات الفعل، إنها بهجة خالصة". (٨١)

لا شك أن دولوز يعد من فلاسفة الجسم، ولقد بيَنَا أن الجسم له قيمة عنده ليس فقط للإنسان ولكن للحيوان أيضا ويحظى جسم الإنسان بعناية خاصة إذ أنه يشكل عنصرًا رئيسيًا في تكوين شخصية الإنسان لذا تُعتبر حرمته وسلامته من أهم الحقوق في ظل كل الرسالات السماوية، وما من دعوة نادى بها الفكر البيوتيقي إلا وترتب عليها مشاكل أخلاقية كثيرة وتجارب فاشلة أودت بحياة الآلاف من الأشخاص. ولنضرب مثالًا على ذلك في ماليزيا عام ١٩٩٩ حيث انتقل فيروس andra من الخنزير إلى الإنسان من خلال بعض التجارب لنقل الأعضاء أودى بحياة ٧٠ فرد ، وفي تجربة أخرى انتقل فيروس الإيدز من القردة إلى الإنسان خلال بعض التجارب الطبية أودى بحياة الملايين من البشر، وربما كان الدافع وراء ذلك إطالة حياة الأفراد وإدامة مرحلة الشباب، عن طريق زرع نسيج أو عضو من جسم إلى جسم آخر وإعادة استمرارية عمل الأوعية الدموية.(٨٢)

ودولوز ينأى بالإنسان أن يتخلى عن شيخوخته من أجل إفساد جسمه، ويرى أن ما يجعل الشيخوخة مثيرة للرثاء هو هؤلاء العجائز البائسون الذين لا يملكون من النقود ما يكفي للعيش ولا هذا الحد الأدنى من الصحة، هذا هو ما يثير الاشمئزاز لكنه ليس الشيخوخة وليس المرض على الإطلاق، الشيخوخة عظيمة مع ما يكفي من النقود والقليل من الصحة المتبقية إنها عظيمة لأن المرء قد بلغها، مجرد أن المرء قد بلغها، في نهاية المطاف، وفي وسط عالم مليء بالفيروسات والحروب القذرة، لقد عَبَرَ المرء خلال كل هذه الفيروسات والحروب وبلغ الشيخوخة وهي سن يكون فيه المعنى الوحيد هو الوجود، لم يعد المعنى أن يكون المرء هذا الشيء أو ذاك بل مجرد الوجود الشخص العجوز يوجد فحسب، وهذا لا يعنى انعدام الطموح ؛لأن العجوز مازال يمكنه أن يقول لديه خطط وهذا الأمر حقيقي وغير حقيقي فهو غير حقيقي بالطريقة التي يكون فيها لشخص في الثلاثين من عمره، لكن هذا لا يغير حقيقة أنني متحرر من كل الخطط ، حين يكون المرء عجوزًا فهو لا يعود سريع التأثر، سيحبُ الناسَ فعلا لذاتِهم، سيدرك أشياء لم يدركها من قبل سيرى أشياء أنيقة لم يكن يراها هكذا من قبل، كل هذا يجعل من الشيخوخة أمرًا جيدًا، بالطبع هناك عذابات في الشيخوخة، لكن يجب أن يتفاداها الإنسان ومن السهل تفاديها، فالأمر الرائع أن الناس يطلقون سراحك، يتركك المجتمع وشأنك لا يمكن أن تتوقعَمْ البهجة التي تملأ الإنسان عندما يتركه المجتمع وشأنه أو يطلق سراحه. (٨٣)

٨١- جيل دولوز-كلير بارنت، **الألف-باء**، ص١١٠

٨٢- مصطفى كيحل. **الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر**. منشورات الجمعية للدراسات الجزائر ٢٠١٦. ص ١٧٤

٨٣- جيل دولوز-كلير بارنت، **الألف-باء** ص ١١١

هكذا أكد دولوز ضرورة السير مع الطبيعة، و صيرورتها وبرر متعتها حيث يختتم حديثه عن الشيخوخة قائلًا" في هذه المرحلة يمكننا ببساطة أن نهز أنفسنا لتتساقط كل الطفيليات التي حملناها فوق ظهورنا طوال حياتنا، ولا يتبقى حولنا سوى الناس الذين نُحبهم والذين يمكنهم أن يتحملوك لأن الآخرون تركوك وشأنك". [٨٤]

٣-سُلطة الأطباء.

تتمحور البيوتيقا حول فكرتي الحرية والعدالة وتظهر هذه المبادئ في علاقة الطبيب بالمريض، إذ يطالب المهتمون بحقوق المرضى إلى ضرورة تجاوز مفهوم السلطة الأبوية ومنح المرضى حق تقرير المصير. [٨٥]

وإذا توقفنا عند موقف دولوز من سلطة الأطباء التي تمثل محور البيوتيقا، سنجد أنه لا يحب الأطباء وليس ذلك مسألة أفراد، فهناك بعض الأطباء الساحرين، ولكنه يكره سلطة الأطباء، أو الطريقة التي يتعاملون بها مع السلطة، وفي ذلك يقول "لدي كراهية للسلطة الطبية وللطريقة التي يستخدم بها الأطباء هذه السلطة". [٨٦]

ولا شك أن علاقة الطبيب بالمريض هي حجر الزاوية في الممارسات الطبية، ولقد ذكر إعلان "جينيف" أن يُطلب من الطبيب العمل بالالتزام الذي يقول فيه (سوف أضع مصلحة مريضي فوق كل اعتبار)، حيث إن المفهوم التقليدي لعلاقة الطبيب بالمريض من حيث الاستسلام للقرارات أصبح مخالفًا للمواثيق الدولية. [٨٧] إلا أن الأطباء من وجهة نظر دولوز يخالفون ذلك حين يستخدمون آلاتهم واختباراتهم على المريض، وهذا الفعل غير سار للمريض، كما يرى أن الأطباء يكرهون مرضاهم التعساء، لأنهم يمكنهم ببساطة أن يقبلوا أن يكون تشخيصهم خاطئا ولا يقبلون ألا تعمل آلاتهم، ويبدو أن دولوز المثقف يأخذ على الأطباء عدم الثقافة فيقول "أعتبر أن الأطباء لم تهذبهم الثقافة على الإطلاق، وحين يحاولون أن يكونوا مثقفين، تكون النتائج كارثية". [٨٨]

ومن الضروري الإشارة إلى أنه إذا كانت مبادئ البيوتيقا الرئيسة هي مبدأ الاستقلال الذاتي، ومبدأ الإحسان، ومبدأ عدم الإساءة، ومبدأ العدالة والمساواة الذي يختص بتوزيع الموارد الصحية سواء كانت بشرية أم مادية بنوع من الإنصاف وعدم التحيز وإعطاء المستحق' [٨٩] فإن هذه المبادئ لا تتحقق من وجهة نظر دولوز وهي بعيدةٌ كل البعد عن أرض الواقع، حيث أن "الأطباء في الحقيقة يعاملون الناس كالكلاب ومن ثم يكشف هذا عن صراع طبقي لأن المرء لو كان ثريًا

---

[٨٤]- الموضع نفسه.

[٨٥]- عبد السلام بن عبد العالي. **ميثولوجيا الواقع**، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى،١٩٩٩، ص ١١٠

[٨٦]- جيل دولوز-كلير بارنت، **الألف-باء** ص ١٠٥

[٨٧]- جون وليامز، **كتاب الأخلاقيات الطبية**، ترجمة محمد الصالح بن عمار، الناشر جمعية الطب العالمية ٢٠٠٥ ص١١

[٨٨]-جيل دولوز-كلير بارنت، **الألف-باء** ص ١٠٥

[٨٩]- فهيمه بوعبيدة، **البيوتيقا من وجهة نظر الدين**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، ٢٠١٥-٢٠١٦ ص٣١

بعض الشيء، يكونون أكثر أدبًا .... فالأطباء مشكلة حقًا والمطلوب نوع من الإصلاح". [٩٠]هكذا يرى الباحث وجهة نظر دولوز الناقدة وأحيانا الرافضة للفكر البيوتيقي وربما لم يذكر دولوز كلمة البيوتيقا ولكننا نتبع منهجه في العيش داخل الفيلسوف لا الحديث عنه لنرى بعينيه ما كان يراه وليس ما سطرت يداه.

تعقيب

لقد اعتمد دولوز اعتمادا كبيرًا على مفكرين مثل واسبينوزا وليبنتز ونيتشه وبرجسون وهيوم في وضع فكرته الدينية والأخلاقية وجعل رؤيته مزيجًا من أفكارهم الشاذة فكانت فلسفته عن الدين أشد فُحشًا من سابقيها وكانت نهايتها خيانة الرب وقد تبدو فلسفة دولوز لا دينية ظاهريًا إلا أن الباحث أوضح أنها معادية صراحة للدين وللميتافيزيقا من خلال إحلال الإنسان محل الله فقام بإحلال العلم محل الدين كعقيدة، فالأخلاق والفضيلة كفيلة بالإجابة عن كل التساؤلات، فما الحاجة إلى الدين؟ هكذا أراد.

ويري دولوز الشرك هو الأصل حيث ينتج عن التفكير السديد ويحتوي على جانب القوة بينما التوحيد عامل هامشي ناتج عن الضعف والخوف وهي ميول طبيعية داخل الإنسان، تصل به إلى الإلحاد. ودولوز في هذا السياق قد تأثر بأفكار كارل ماركس الذي يرى أن الدين أفيون الشعوب، وأنه ملاذ الضعفاء، وأن الأقوياء لا يحتاجون لدين يحميهم ولكنهم في حاجه لثروة حيث لا إله إلا السوق. لذا يرى الباحث أن الإلحاد هو نوع من الاعتقاد وخاصة عند دولوز فهو يحتوي على جانب صوفي يدعي أن إنكار الإله هو إيمان بوجوده وفيما يتعلق بالجانب الأخلاقي فإن نظرة دولوز للخير والشر نظرة صوفية إلى حد ما، كما لاحظنا أن نظرة دولوز للحيوان هي نظرة بعيدة كل البعد عن الفلسفات السابقة أو اللاحقة علية من حيث مدي تشعبها ونزاهتها وعدم ارتباطها بالمنفعة. وأما موضوع البيوتيقا فهو أمر مستحدث لم يلتفت إليه أحد من قبل في فكر دولوز حيث الرغبة في عدم إرهاق الإنسان والسير وفقًا لمتطلبات الطبيعة والتمتع بكل مراحل الحياة من مرض وشيخوخة.

[٩٠]-جيل دولوز-كلير بارنت، **الألف-باء** ص ١٠٦

Deleuze's philosophy of religion and ethics

By

Abdel Awal Hassan Mohamed

Prof. Dr. Ibrahim Tolba salkha

Professor of Modern and Contemporary Philosophy, Vice Dean for Community Service and Environmental Development Faculty of Arts_ Tanta University

Dr. Ahmed Elsayed Khalifa

Lecturer, Department of Philosophy, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

There is no doubt that religion is a matter of the spirit that the human spirit cannot do without, just as his body cannot do without the soul, and religion is a short feeling, and a common sense for all human beings.

Therefore, religion preoccupied most thinkers in different fields of thought, so that some thinkers cared about the issue of religion according to Deleuze, including Mary Bryden. He edited the book Deleuze and Religion.

More than fourteen writers participated in it with articles on Deleuze's religious philosophy, and Morny JoyEditor presented a book entitled "Continental Philosophy and Philosophy of Religion" in which he dealt with Deleuze's philosophy of religion in one of its chapters. Nevertheless, the researcher did not find an Arabic study - despite its abundance. I have dealt with this subject with criticism and analysis, and this may be due to the fact that everyone who dealt with Deleuze presented a tribute (praise) to his philosophy and not a comprehensive criticism of it.

Deleuze did not write a religious philosophy per se, and his major works do not include debates lengthy issues on the issues of the philosophy of religion, except that his historical studies were entirely about philosophers who are deeply interested in religion, and it is remarkable in many situations that Deleuze's comment on these principles of these philosophers passes without an opinion or judgment: for example, the existential framework of Spinoza on the existence of God is analyzed without any accompanying evaluation of whether or not it succeeds, as is the case with the outline of Nietzsche's hostility to Christianity.

Keywords: God, religion, Deleuze, environment.